لقد كان نابونيد (١) آخر من تربع على عرش الامبراطورية البابلية الجديدة قبل أن يضع الفرس نهاية لحكم الاسرات المحلية في العراق القديم · ولقد كانت السياسة التي اتبعها هذا الملك سواء في الشئون الدينية أم في النواحي العسكرية مثارا لكثير من المناقشات وأمرا جعل عصره ذا طابع خاص يختلف عن عصر أسلافه ، ولحسن الحظ فان تواريخ أحداث عصره معروفة لنا بصورة دقيقة ، وقد أيدت الكثير منها النصوص الادارية والاقتصادية والقضائية التي عاصرت أيامه والتي دعمتها الحقائق الفلكية وتدلنا هذه التواريخ على أن نابونيد تولى حكم بابل في أواخر يونيو عام ٥٥٦ ق·م وظل يحكم الامبراطورية البابلية الجديدة حتى تم للفرس الاستيلاء على بابل في الثاني عشر من اكتوبر عام ٥٣٩ ق·م ونظريا حينما دخل كيروس المدينة في ٢٩ اكتوبر من نفس السنة (٢) ، وهكذا استمر حكم نابونيد سبعة عشر عاما وذلك طبقا لما أثبته بيروسوس (٣) ولما جاء فيما يعرف بقانون بطليموس (٤) وفي القائمة المسمارية الوحيدة التي تشتمل على اسم هذا الملك يوجد رقم مهشم يشير الى عدد سنوات حكمه ولكن يبدو أنه كان يمثل الرقم (١٧) (٥) ·

قليل مانعرفه عن اصل نابونيد ، فقد كان من نسل اسرة نبيلة عالما وتقيا واديبا ومحققا لتراث الاجداد ، وكان أبوه نابو ــ بالاطسو ــ اقبي وهو شخص غير معروف ولم يكن من سلالة الوارثين للعرش ، ومن نقش لامه نعرف ان اسمها ادا ــ جوبي وحيث ان اثار قريبات الملوك من النساء نادرة جدا ، فان وجود مثل هذا النقش يؤكد انها كانت سيدة ذات شان ، لقد عمرت اكثر من مائة عام وتوفيت في السنة التاسعة من حكم ابنها ، وفي خلال حديثها عن حياتها الطويلة صرحت بانها « عنيت » Massartisunu Assur (٦) لمدة ثمان وستين عاما بملوك بابل المتاخرين وقد تشير هذه العبارة الى انها كانت ذات نفوذ في البلاط الملكي ، ولكن الحقيقة المؤكدة انها كانت مكرسة لعبادة اله القمر (سين) على الاقل في اخريات ايامها (٧)

● د . خالد الدسوقي

اعتلى نابونيد العرش بعد سلفه الذي كان من الفرع الملكي والذي لم يبق في الحكم الا أشهر معدودات ، ويبدو للوهلة الاولى أن نابونيد كان مغتصبا للعرش استطاع الوصول اليه عنوة أو بالحيلة ، ولكن بعض الوثائق المسمارية قد تلقي ضوءا على هذا الراي ، ففي واحدة منها يذكر أمر موت نريجليسار وانتقال العرش الى (ابنه الاصغر لاباش مردوخ الذي جلس على عرش المملكة ضد الرغبة الالهية) ، وتلى ذلك في العمود التالي من النص فترة هامة جاء فيها (جاءوا بي الى وسط القصر والقوا بانفسهم جميعا على قدمي وقبلوا الخضوع لذاتي الملكية ، وبناء على أمر مردوخ رفعت الى مركز السلطان) (٨) وهذا النص لايوحي باغتصاب الملك بل الارجح أن اختياره كملك لقي الكثير من الاقبال من ناحية الشعب بوصفه خير من يستطيع أن يقود دفة الحكم بين البارزين من رجال الدولة ذوي الدراية بالشؤون العامة ، ولم يزعم نابونيد تاسيس أسرة جديدة بل حسب نفسه ضمن ملوك الاسرة البابلية الجديدة وواحد من افرادها فهو يقول : (أنا المنفذ الحقيقي لرغبات نبوخذ نصر ونريجليسار الملوك الذين سبقوني ، ان جيوشهما قد عهد بها الي ولن أكون معوقا لاوامرهما وساحرص على ارضائهما) (٩) ، والنص يتناول بعد ذلك أمل مردوخ ولباش مردوخ وليس فيه اشارة من قريب أو بعيد الى مايوحي بالاغتصاب ، ونحن نميل الى تصديقه فهو نص معاصر وليس هناك مايدعو الى التشكك فيه أو الى القول بانه كتب للمجاملة ، فظواهر الامور تؤكد أن انتقال العرش أليه مر في يسر دون اثارة قلاقل او متاعب ، ويحاول البعض أن يروا في نابونيد صاحب حق في العرش بوصفه صهرا لنبوخذنصر كما كان نريجليسار صهرا له كذلك وأن نريجليسار لم يهيء ابنه لباش مردوخ للعرش وأن نابونيد كان بوصفه قائدا للجيش وصهرا للاسرة وأحد الرجال البارزين أحق الاحياء في الاسرة لاعتلاء العرش (١٠) .

يعتبر (سجل تاريخ نابونيد) (١١) من اهم المصادر التي تحدثت عن عصر هذا الملك وأوثقها جميعا ، ونعرف منه أن نابونيد قد شغل السنوات الثلاث الاولى من حكمه ببعض الحملات التي قام بها في سوريا ، وينقص هذا السجل خاتمة أحداث السنة الثالثة وجميع أحداث السنة

الرابعة والخامسة وبداية السنة السادسة ، ويختص الجزء المحفوظ من أحداث السنة السادســة بهزيمة كيروس للميديين ، كما تسجل السنة السابعة وجود الملك في تيماء في شمال الحجاز وان عيد راس السنة لم يحتفل به في بابل ، ولم تسجل اي أحداث في السنة الثامنة ولكن أحداث السنوات التاسعة والعاشرة والحادية عشرة تكرر ان الملك مازال في تيماء وان عيد راس السنة لم يحتفل به في بابل ، ويتبع ذلك فجوة تطمس أحداث السنوات الثانية عشرة حتى الخامسة عشرولم يبق الا قليلا من أحداث السنة السادسة عشرة • اما أحداث السنة السابعة عشرة فتشير الى وجود الملك في بابل في الوقت الذي بدا فيه الفرس هجومهم عليها ، فمن هذا السجل نعرف ان نابونيد ذهب الى تيمـاء اما في نهاية السنة الثالثة او في السنة الرابعة او في الخامسة او في السادسة من حكمه وانه عـاد منها بعد السنة الحادية عشرة ولكن قبل السنة السابعة عشرة •

ومن المصادر الهامة الاخرى التي تناولت أحداث عصر نابونيد مايسمى (سجل التاريخ الملكي) (١٢) الذي دون على لوحة كتب على كل من جانبيها ثلاثة أعمدة اعتدت يد الزمن على الاول والاخير منها ولم يبق الا أجزاء من العمود الثاني حتى العمود الخامس ، ويتناول الجزء المحفوظ من العمـــود الرابع الحملة السورية التي قام بها الملك في أوائل العام الثالث ، الامر الذي يبين أن هذه اللوحة لايمكن أن تكون قد استوعبت أحداث السبعة عشر عاما ، أما قمة العمود الخامس والتي لم يبق منها الا جزءا صغيرا فتختص بالحملة الى بلاد العرب ولكن لم تذكر السنة التي تمت فيها هذه الحملة ، ومع أن عدد الاسطر المفقودة في أسفل العمود الرابع غير معروف ، فمن الصعب أن نفترض أن قمة العمود الخامس قد وصلت الى سرد أحداث العام السادس نظرا لان منتصف العمود الرابع يتناول أوائل السنة الثالثة ، والامر الاكثر احتمالا أنها تتناول تكملة أحداث السنة الثالثة أو السنـة الرابعة ، وعلى ذلك يمكن القول أن حملة السنة الثالثة التي وجهت الى سوريا تابعت مسيرتها في فلسطين حتى وصلت الى شمال الحجاز ، وتحفظ لنا الاسطر المهشمة في (سجل تاريخ نابونيد) اسم مكانين بعد سرد أحداث الحملة السورية ، أما الاسم الاول فيشـير الى مدينـة شونديرى أو شينديرى أو روجديرى التي لم يعرف مكانها بالضبط ، أما الاسم الثاني فغير كامل ولكنـه ينتهي بالمقطـــع •••) دومو (١٣) وقد اعتبر هذا المقطع على انه نهاية الكلمة (أدومو) التي بدورها اخذت على أنها (أدوماتو) أو (أدوموتو) وهي مدينة في شمال الجزيرة العربية ورد ذكرها في نقوش الملك الاشوري أسار حدون (١٤) ويرى Albright (١٥) أنها الجوف الحالية وقد تبعه آخرون في هذا الراي (١٦) ، واذا سلمنا بصحة هذا الراي ، لامكننا القول بان حملة السنة الثالثة واصلت سيرها حتى بلغت تيماء حيث أن الجوف تقع على الطريق المؤدي اليها ، وحيث انه لايوجد دليل على ان (أدومو) صيغة مختصرة لأدوماتو ، فالاوفق أن يكمل اسم هذه المدينة ليصبح (أ) دومو (أدوم) (١٧) وفي هذه الحالة لايستبعد أيضا أن تكون هذه الحملة قد وصلت الى تيمـاء بعد أن توغلت في سوريا ثم أدوم التي تقع ايضا على الطريق أليها ولكن ينقصنا الدليل على ان الاستيلاء على تيماء حدث في السنة الثالثة من حكمه •

لقد ذهب بعض الباحثين الى أن تيماء التي استقر فيها نابونيد هي تيماء أخرى تقـع في العروض على ساحل الخليج العربي وحجتهم في ذلك أن المسافة بين تيماء الحجاز وبابل كبيرة تجعل

من الصعب تصور اقامة نابونيد في هذا المكان ، أما العروض فانه على اتصال ببابل ولا يفصل بينهما حاجز أو فاصل أو عائق (١٨) كما ذهب بعض آخر الى احتمال أن تكون تيماء هي تيمان المذكورة في التوراة (١٩) هي أرض أبناء الشرق (٢٠) وملتقى طرق القوافل القادمة من بلاد الشام ومصر والعراق والجنوب (٢١) ولكن نقش حران الذي دونه الملك نابونيد والذي عثر عليه عام ١٩٥٦ في خرائب جامع حران الكبير أكد أن تيماء التي استولى عليها الملك البابلي هي تيماء الحجاز ، فقد جاء في هذا النقش على لسان الملك ماياتي : (لقد غادرت مدينتي بابل و (سلكت) الطريق الى تيماء ، وديدانووباداكو وخيبرا وياديحو حتى ياتريبو حيث تنقلت بينها لمدة عشر سنوات ولم أدخل مدينتي بابل) (٢٢) فجميع هذه المدن تقع في الحجاز ، فموضع ديدانو معروف وقد ورد ذكره في العهد القديم وفي عدد من الكتابات (٢٣) ومكانه الآن مدينة العلا ، وأما بادكو فهو موضع فدك الذي لم يكـن مشهورا في الاخبار القديمة وانما اشتهر في أيام الرسول (ص) ويسمى الآن الحائط ، وأما خيبرا فهو موضع خيبر وهو موضع معروف وقد كان من مواطن اليهود أيام النبي (٢٤) وموضع ياديحو هو موضع يديع ويقع بين فدك وخيبر وقد ذكره ياقوت الحموي والهمداني (٢٥) ويسمى الان الحويط ، أما ياتريبو فهو موضع يثرب وهو الاسم القديم للمدينة المنورة وكانت هذه آخر موضع استولى عليه الملك في الحجاز بسكوت النص عن ذكر مواضع أخرى تقع جنوبها .

وتدلنا الوثائق التي تحدثت عن حملة نابونيد الى تيماء أنه اتخذ طريقا يبدو أنه لم يكـن مطروقا قبل عهده ، فيتحدث (سجل التاريخ الملكي) عن الطرق الوعرة التي لم تطأها قدم من قبل (٢٦) كما تشير (الرواية الشعرية الفارسية) الى أن الملك (اتخذ طريقا بعيدا) وأنه « سلـك السبيل الى الطرق البعيدة » (٢٧) وهذا يؤكد أن الملك البابلي لم يذهب الى تيماء بالطريق المالوف الذي يصل العراق القديم بشمال الجزيرة العربية والذي يبدأ من الوركاء مخترقا الصحراء ومارا بالجوف (دومة الجندل) حتى تيماء ، بل الارجح ـ كما سبق أن أشرنا ـ أنه ذهب أولا الى أدوم ومنها الى تيماء حيث الطريق جبلية والمسالك وعرة .

وواضح أن حملة نابونيد الى شمال الحجاز كانت حملة عسكرية قصد بها الاستيلاء ليس فقط على تيماء بل على مدن أخرى تقع جنوبها ولكنه فضل تيماء كمكان لاقامته ، ففي (سجل التاريـخ الملكي) نقرأ عبارات تدل على نشوب معركة حربية بينه وبين حكام هذه المدن التي غزاها مثل (ضربه أو صرعه) و (قبض) و (دفع السلاح) و (اكتسح) «٢٨» ومن « الرواية الشعرية الفارسية» نعرف أن (قوات أكد خرجت معـ(ه) وأنه (حينما وصل قتل ملك تيما ، با (لسيف) وذبح جموع سكان المدينة .... ودخل وثبت مقامه بينما كانت قوات أكد .....) (٢٩) ويبدو أن هذه المعركة الحربية كانت بسبب مقاومة سكان هذه المدينة وحاكمها له واصرارهم في الدفاع عن مدينتهم ، ولعل (سجل التاريخ الملكي) هو الوثيقة الوحيدة التي جاء فيها ذكر عبارة (ملك دادانا) أعقبها عبارة « انه اكتسح .. » (٣٠) مما يحمل على الظن أن نابونيد أخضع هذا الملك بقوة السيف أيضا . وقد يؤيد هذا الاستنتاج ماجاء في احدى النقوش الثمودية من ذكر عبارة (رمح ملك بابل) وفي نقش آخر عبارة (حرب دون ـ ديدان ـ) (٣١) وقد ربط العلماء بين العبارتين وفسرتا على أنهما اشارة

الى الحرب التي نشبت بين البابليين وأهل ديدان أيام نابونيد وأن أهل تلك المناطق صاروا يؤرخون بها لاهميتها عندهم كحادث تاريخي (٣٢) • وهناك احتمال كبير أن بقية المدن التي ذكرها الملك البابلي قد استسلم حكامها له بعد أن سمعوا عن بطشه بأهل تيماء وديدان ومن أجل هذا لم تذكر اي معارك حربية بينه وبين حكام هذه المدن في الوثائق التي تكلمت عن هذه الحملة البابلية الى شمال الحجاز ، ولعل الذي يسر للعاهل البابلي الاستيلاء على هذه المدن ان الحجاز لم يكن انذاك تحت حكومة واحدة يرأسها ملك واحد وانما كان على نحو ما كان عليه عند ظهور الاسلام ، حكومات قرى ومدن وقبائل ، ولا يستبعد أن يكون حالها أو حال بعضها على نحو حال هذه المدن يوم ظهور الاسلام اي تحت حكم سادات المدينة والاشراف يشتركون معا في الحكم ويتشاورون فيما بينهم عندما يحدث حادث ما في مدينتهم او قريتهم في أمور السلم وفي أمور الحرب (٣٣) ووضع سياسي كهذا لايمكن ان يقاوم جيشا لجبا قويا كجيش بابل المدرب على القتال والذي يعيش على الحروب ولذلك انهار بسرعة وسلم أمره الى البابليين •

وتشير الوثائق الى أن نابونيد قد طابت له الاقامة في تيماء التي أعاد بناء جزء منها ـ على الاقل ـ وفقا للطراز البابلي ، ففي احدى هذه الوثائق نقرأ (تلك) المدينة (تيماء) جعلها رائعة وبنى ••• ومثل قصر بابل بنى (قصره فيها) (٣٤) وأن ذكر عبارة (الحلية المعمارية من اللبن) (٣٥) في أحد أسطر (الرواية الشعرية الفارسية) ليوحي بالظن أن الملك البابلي أحاط قصره بسور من اللبن على هامته زخارف معمارية وقد يكون القصد من هذا السور هو تحصين القصر ضد أي عدو تسول له نفسه اقتحامه ، وفي نفس هذه الوثيقة يرد ذكر لكلمة (حرس) ولعبارة (طاف حولها) (٣٦) مما يؤدي بنا الى التفكير بأن نابونيد ربما كان يقوم بين العين والاخر بجولات تفتيشية حول المدينة ليتاكد من أن الحرس المنتشر حولها يقوم بواجبه خير قيام •

لقد اقام نابونيد مدة عشر سنوات في شمال الحجاز متنقلا بين المدن التي فتحها قبل أن يعود الى بابل (٣٧) واذا صح ماذهبنا اليه من أن حملة الملك السورية التي قام بها في أوائل عام حكمه الثالث تابعت مسيرتها ، بعد استيلائها على أدوم ، الى شمال الحجاز ، فيمكن القول بان نابونيد وصل تيماء أما في أواخر هذا العام أو في العام الرابع أخذا في الاعتبار أن هناك وثائق تشير الى وجود الملك في تيماء في عام حكمه الخامس حتى العام الثاني عشر • (٣٨) فاذا كان ذلك كذلك فيمكن القول بان نابونيد مكث في شمال الحجاز من عام حكمه الرابع حتى العام الثالث عشر اي من عام ٥٥٣ ق•م الى ٥٤٤ ق•م وان اقامة نابونيد في شمال الحجاز تؤكدها لنا أيضا الوثائق الادارية من بابل والتي تبين أن ابنه بلشاصر كان يحكم البلاد نائبا عنه بل فيها مايشير الى انه كان يشارك اباه في عرشه في هذه المرحلة ، ففي تقرير لاحد المنجمين مؤرخ بالسنة السابعة من حكم نابونيد ، جاء ذكر لاسم الملك وبلشاصر ولي العهد وذلك بدلا من أن يوجه الى الملك فقط كما هي العادة في كتابة مثل هذه التقارير (٣٩) وهناك وثيقة ترجع الى العام الخامس من حكم نابونيد تسجل اعطاء العشور من جانب بلشاصر في الوقت الذي كانت نفس العشور قد منحت من جانب الملك في بداية حكمه (٤٠) وفي العام السادس من حكم نابونيد أرسل بلشاصر استفسارا الى سلطات المعبد في

الوركاء بشان ملابس كانت توضع على تماثيل الآلهات ، الامر الذي اضطرت معه سلطات المعبد الى الرجوع الى القرارات التي أصدرها نابونيد أبان عام حكمه الاول (٤١) كما ان هناكوثيقةقانونية من العام العاشر لحكم نابونيد توضح ان بلشاصر كان يقوم بعمله كما لو كان ملكا (٤٢) وتشير وثيقة من سجلات معبد الوركاء الى أن بلشاصر كان يصدر أوامره كما يفعل الملك عادة وهذه الاخرى ترجع الى العام العاشر من حكم أبيه (٤٣) بل أن بعض لوحات القسم من العام الثاني عشر للحكم تورد اسميهما عند الحلف على قدم المساواة مما يؤكد وجهة النظر هذه ويكاد يقطع باشتراك في الحكم. (٤٤) ففي كل هذه ألوثائق الدليل الذي يؤكد أن بلشاصر كان يحكم كملك في بابل ، الامر الذي يستلزم غياب والده عن مملكته ووجود في تيماء على الاقل من عام حكمه الخامس الى العام الثاني عشر ، وفي ذلك أيضا تتحدث (الرواية الشعرية الفارسية) : (.. وحينما أتت السنة الثالثة ، عهد (الملك) بالمعسكر لابنه الاكبر وسلمه القوات في كل مكان وتنازل عن سلطته وعهد اليه بالملكية) (٤٥) وبالرغم من ذلك فهناك فقرة فيها أمر من أوامر التوجيه صادرة من نابونيد الى بلشاصر مؤرخة بالعام السابع (٤٦) نستطيع الخروج منها بانه لم يتخل نهائيا عن ادارة الامور في العاصمة وانه كان يوالي ارسال توجيهاته لابنه ونائبه هناك ، مما يدل على أنه لم يتنازل له عن سلطاته كلها تماما ، بل ان الوثائق جميعا تشير اليه بوصفه « الملك » وحين يذكر مع ابنه ، يذكر اسمه أولا وليست هناك وثيقة يسبق فيها اسم ابنه اسمه ، علاوة على ذلك فان جميع هذه الوثائق ظلت تؤرخ بسني حكمه (٤٧) وان هذا الاتصال الدائم بين نابونيد أثناء اقامته في تيماء وبابل ليحملنا على القول بان تيماء أضحت عاصمة الامبراطورية البابلية الجديدة طيلة اقامة العاهل البابلي فيها ، ومما يرجح كفة هذا القول مابذله الملك في جعل (تلك) المدينة « تيماء » رائعة ، وتشييده قصرا فيها مثل قصره في بابل (٤٨) لتصبح ملائمة لاقامته واقامة بلاطه الامبراطوري .

وتؤكد لنا هذا الاتصال المستمر بين تيماء وبابل وثيقتين اداريتين من الوركاء ترجع احداها الى العام العاشر من حكم نابونيد وتتحدث عن طعام كان يرسل الى الملك في تيماء (.. الذي أحضره من تيماء وباع الجمل الذي حمل زاد الملك معه الى تيماء) أما الوثيقة الاخرى فتؤرخ بالعام الخامس وتشير أيضا الى ارسال كمية من الدقيق الى تيماء . (خمسون شاقل من الفضة لنابو - موشيتيق - أورا بن عتار - نادين - اخي الذي ارسل الى تيماء وذلك مقابل جمل ودقيقه . اليوم الخامس من ادار ، السنة الخامسة من (حكم) نابونيد ملك بابل) (٤٩) وقد يتساءل المرء ما اذا كان طعام الملك الذي كان ياتيه من بابل من الكماليات التي عز وجودها في تيماء أم انه كان في حاجة الى طعام خاص من بابل بسبب مرضه الذي لازمه سبع سنوات هناك (٥٠) أم أن الملك كان محاصرا في تيماء ولم يعد يكفيه انتاجها المحلي ، وان مجيء هاتين الوثيقتين من الوركاء لدليل على أن الطريق المباشر عبر الصحراء كان هو المستعمل في مثل هذه الرحلات .

لقد اختلفت الاراء حول الاسباب التي حملت نابونيد على القيام بحملته في شمال الحجاز والاقامة هذه السنوات الطويلة هناك ، فالراي الاول نادى به Lambert (٥١) الذي ذهب الى أن نابونيد ترك بابل وأقام في تيماء لاسباب دينية ، ويعتمد هذا الراي على التعصب الظاهر الذي أبداه نابونيد تجاه عبادة الاله سين (اله القمر) منذ السنوات الاولى من حكمه والذي يتجلى في انه

اخذ ينسب الى هذا الاله صفات وسلطة عليا في الكون كانت التقاليد البابلية تخلعها على مردوخ اله مدينة بابل ٠ وبجانب هذا فقد اهتم هذا الملك باعادة تشييد معبد الاله سين في حران الذي كان قد دمره الميديون عام ٦١٠ ق٠م اثناء حروبهم مع آشور وفي نفس الوقت قرر عدم الاحتفال بعيد رأس السنة ، الذي كان يقام أصلا لمردوخ في بابل ، حتى ينتهي من بناء هذا المعبد ، بل ان هذا الاحتفال ظل معطلا طيلة اقامة الملك في تيماء وفي هذا عقاب لانصار مردوخ لما لتعطيل هـذا الاحتفال من اثر في انزال الههم من مركز السيادة بين الالهة ، ويمضى Lambert في رايه فيفترض أن رجال الدين في بابل وقد استاءوا من انحياز مليكهم للاله سين بدأوا يظهرون كراهيتهم له الامر الذي اضطر معه نابونيد الى الذهاب الى تيماء اتقاء لغضبهم ورغبة في التعبد في هدوء لالهه المفضل ، كما يعزى Lambert أيضا ذهاب نابونيد الى تيماء الى شعوره بالضيق من قلة احترام رعاياه للاله سين معتمدا في ذلك على عبارات من نقش حرأن جاء فيها : (لقد ارتكب شعب بابل وبورسيبا ونبثور واور واوروك ولارساو كهنة وشعب مدن اكد ذنبا في حق الوهيته (سين) العظيمة واثموا وفعلوا الخطيئة ، لم يدركوا غضب نانتار ملك الالهة المخيف ونسوا الطقوس التي كان يجب أن يقوموا بها واخذوا يجدفون ويقولون الاكاذيب ، ياكلون بعضهم بعضا كالكلاب ٠ لقد جلبوا الطاعون بينهم والمجاعة التي اهلكت السكان) (٥٢) وفي رأيه أن اختيار تيماء مكانا لاقامته لانها كانت مركزا لعبادة القمر (٥٣) ويشبهه في هذا العمل باخناتون حينما هاجر من طيبـة الى أخيتاتون ليتعبد لالهه الجديد آتون بعيدا عن غضب وسخط كهان آمون ٠

والحق يقال أن نابونيد قد تعصب لعبادة الاله سين حتى انه عين ابنته (انتو) في معبد هذا الاله في مدينة اور ٠ (٥٤) وقد يكون قد تاثر في ذلك بامه التي كانت مكرسه لعبادة هذا الاله وتمشيا مع النزعة التي انتشرت في الشرق القديم منذ القرن السابع قبل الميلاد وهي العودة الى كل ماهو قديم والعمل على احياء العبادات والطقوس القديمة (٥٥) ويرى البعض أن العاهل البابلي حاول أن يجعل من الاله سين ، اله أور وحران ، الاله الاعلى في الامبراطورية رغبة في خلق رابطة دينية توحد بين كل رعاياه خاصة العرب والاراميين الذين كانوا يبجلون اله القمر تحت اسمـاء مختلفة ، بينما لم يكن للاله مردوخ مكانا في مجمع الهتهم (٥٦) ولكن هل كان هذا التعصب للاله سين على حساب الاله مردوخ (سيد الالهة) الذي كان معبده في بابل ، الامر الذي أدى الى كراهية رجال الدين له ؟ ليس من الحقيقة في شيء اذا ذهبنا الى القول بان نابونيد لاسباب سياسية او عاطفية أراد ان يضع الاله سين على رأس مجمع الالهة بدلا من الاله مردوخ ٠ ونستطيع أن نستدل على ذلك من انه حينما ظهر الاله مردوخ وسين لنابونيد في الحلم ، فانه تنفيذا لاوامر مردوخ وليس لاوامر سين ، بدأ الملك في اعادة بناء (اخو لغول) معبد سين في حرأن (٥٧) في السنة الثالثة من حكمه (٥٨) ، وهذا يشير الى أن مردوخ ماتزال له المنزلة العليا عند الملك ، علاوة على ذلك فان مردوخ ظل يحمل لقب (السيد الاعظم) تماما كما حمل سين نفس اللقب (٥٩) واذا كان تحمس نابونيد للاله سين بدافع الحنين لما هو قديم ، فقد افادت من حماسته هذه معابد أخرى في العـراق القديم بما فيها معبد مردوخ الكبير في بابل ، ولا أدل على شدة ارتباطه بالتقاليد البابلية الدينية من حرصه على البحث عن احجار الاساس temenu التي تثبت أصالة الارض المقدسة وذلك قبل تجديد المعابد القديمة (٦٠) علاوة على ذلك فيعترف الملك في نقوشه انه يحكم البلاد بامر سيده

مردوخ (٦١) لا بامر الاله سين ، كما يجب الا يغفل عن بالنا أن كل النقوش التي مجدت الاله سين واسبغت عليه القابمردوخ جاءت من حران أحد المراكز الرئيسية لعبادته (٦٢) لذلك يبدو أن الملك حرصا منه على عدم اثارة شعور كهنة الآلهة الاخرى خاصة مردوخ ، اكتفى بتمجيد الهه المفضل داخل حدود مدينته الرئيسية • وقد اشتركت « الرواية الشعرية الفارسية » التي كتبت ابان استيلاء الفرس على بابل ، في اظهار التمجيد والمنزلة السامية التي نالها الاله سين من جانب نابونيد وذلك رغبة منها في وضع صورة نابونيد في اطار من الهرطقة لعدم مراعاته لقداسة مركز مردوخ (سيد الالهه) وامعانا في تشويه هذه الصورة وصفته أيضا (بالملك المجنون) (٦٣) كل ذلك لاستقطاب الشعور الشعبي تجاه الحكم الفارسي الجديد • أما ماجاء في (سجل التاريخ الملكي) بخصوص عدم الاحتفال بعيد رأس السنة اثناء فترة غياب الملك في تيماء (٦٤) ، فهذا اجراء بدهي حيث أن اشتراك الملك في هذا الاحتفال كان أمرا ضروريا خاصة وأن احتفال رأس السنة كان مهما للغاية بالنسبة لرخاء البلاد وخصوبة أرضها (٦٥) لذلك نجد أن نابونيد سارع بالاحتفال بهذا العيد بمجرد عودته الى بابل حيث أن « سجل التاريخ الملكي » لايشير الى أن طقوس العام الجديد قد أغفلت في معرض حديثه عن أحداث السنة السابعة عشرة ، ولا بد أن كهنة الالهه التي كانت تأتي من معابدها الى بابل لتشترك في هذا الاحتفال بعامة وكهنه الاله مردوخ بخاصة كانوا يدركون ظروف الملك لغيابه عن العاصمة وانه لم يتعمد أهمال هذا الاحتفال لانزال مردوخ من مركز السيادة بين الالهة بدليل المبادرة باشتراكه في هذا الاحتفال فور رجوعه الى بابل ، فلو كان نابونيد قد ذهب الى تيماء بسبب تعصبه لعبادة الاله سين الذي أدى الى اثارة الضغينة في قلوب كهنة الاله مردوخ ، لتوقعنا اعلانه رسميا اتجاهه الديني ، عقب عودته من تيماء ، وعدم اشتراكه في احتفال رأس السنة •

واذا كان الملك قد ضاق ذرعا بسلوك كهنة وشعب مدن أكد تجاه الاله سين وباهمالهم أداء الطقوس اللازمة لعبادته ، فليس من المعقول أن يكون ذلك سببا في أن يترك وطنه وعاصمته ويذهب بعيدا ليعيش في عزلة لمدة عشر سنوات في تيماء • لقد كان في امكان الملك أن يعيش في حران ويمارس فيها عبادته لسين خاصة وانها كانت أحد المراكز الرئيسية لعبادة هذا الاله ، كما كانت امامه أور المركز الثاني لعبادة اله القمر ، واذا كانت تيماء مركزا لعبادة اله القمر فقد كانت أيضا مدينة يعبد فيها صلم الذي هو صورة من اله الشمس (٦٦) ، وليس هنا مجال لمقارنة نابونيد باخناتون الذي ما ان أحس بخطر كهنة آمون بطيبه حتى هاجر الى مدينة اختياتون وهي مدينة مصرية قال عنها (هذا هو المكان الذي لايتبع لاي أمير او لاي اله) (٦٧) واذا كان نابونيد قد نسب الى شعب وكهنة مدن أكد عدم احترامهم للاله سين واهمالهم لطقوس عبادته ، فقد يكون ذلك تعبير عن استيائهم من الملك بسبب تعبئته القوات من الولايات الغربية واستخدامها في اعادة بناء معبد سين في حران بعد انسحاب المبديين منها (٦٨) ولما في هذا العمل من استنزاف لميزانية الدولة في الوقت الذي كانت فيه البلاد تئن من سوء الاحوال الاقتصادية (٦٩) وهناك احتمال كبير في أن غضب الشعب والكهنة من الملك يرجع الى انه حاول أن يضع شؤون المعابد تحت الاشراف الملكي المباشر مخالفا بذلك سنة أسلافه الذين امتنعوا عن التدخل في شئونها مكتفين بنسبة ضئيلة من دخولها (٧٠) وأيا ما كان الامر فقد كان في استطاعة ملك كنابونيد أن يخمد أي ثورة تقوم في وجهه كما فعل ازاء

ثورة الشعب التي قامت في أواخر أيامه حينما هزم الفرس جيش أكد (٧١) وذلك بدلا من الهجرة والاقامة في مكان بعيد عن عاصمته كما نادى البعض ، ومما هو جدير بالملاحظة أن نابونيد أثناء مرضه في تيماء لم يذكر في توسلاته الاله سين بل آلهة أخرى (٧٢) الامر الذي يدعو الى الشك في أنه كان يتعبد لهـذا الاله في تيماء ومن ثم لم يكن تعصبه له سببا في هجرته الى هذه المدينة •

اما السبب الثاني لذهاب نابونيد الى تيماء فتمدنا به التقاليد اليهودية التي تعزو اقامته في هذه المدينة الى أسباب صحية ، فتحدثنا أجزاء من بعض المخطوطات المكتوبة باللغة الارامية والمعروفة بلفائف البحر الميت والتي عثر عليها في قمران عن المرض الذي أصيب به أثناء اقامته في تيماء وذلك بناء على قرار الاله ذي المنزلة السامية • ولزم هذا المرض الملك سبع سنوات وكان الملك يتضرع الى آلهة الفضة والذهب والبرونز والحديد والخشب والحجر والطين املا في أن تبرؤه من مرضه ، وعندما اعترف الملك بخطاياه وآثامه ارسل اليه الاله نبيا يهوديا نصحه باسداء التبجيل والتعظيم للاله ذي المنزلة السامية • عندئذ عاد الملك الى بابل حيث شفي من مرضه (٧٣) •

وقد رأى البعض أن المرض الذي أصيب به نابونيد كان مرضا جلديا يسمى (شيحين) وهو يشبه المرض الذي أصيب به سيدنا أيوب وحزقيا (٧٤) ويبدو أن ذلك النبي اليهودي الذي أسدى النصيحة للملك كان من بين اليهود المنفيين في بابل ولم يكن من بين المقيمين مع الملك في تيماء (٧٥) ومن المؤكد أن المقصود بالاله ذي المنزلة السامية المذكور في هذه التوسلات هو الاله مردوخ وفي هذا مايشير الى أن كاتب هذه التوسلات قد تأثر الى حد كبير بما جاء في « الرواية الشعرية الفارسية » التي جعلت من نابونيد رجلا كافرا بمردوخ • واذا كان المرض قد لازم الملك سبع سنوات فهـذا لايعني بالضرورة أن اقامة الملك في تيماء كانت سبع سنوات فقط • فنعرف أن الملك قد مرض في السنة الثالثة من حكمه أثناء حملته السورية ولكنه شفي (٧٦) فمن المحتمل أن المرض عاود الملك أثناء اقامته في هذه المدينة التي استغرقت عشر سنوات كما جاء في الوثائق التاريخية الاخرى • فاذا كان الملك قد أصابه المرض بعد رحيله من بابل فلن يكون المرض سببا في هذا الرحيل والاقامة في بلد ناء للاستشفاء •

ولعل الاسباب التي دفعت الملك البابلي الى حشد جيوشه في حملة لغزو بلاد الحجـاز والاقامة فيها متجولا بين مدنها كانت أخطر وأجل من الدوافع الدينية ، خاصة اذا عرفنا أن هـذا الملك كان ذا طبيعة تميل الى السلام كما اشتهر بعلمه وتقواه وشغفه بالابحاث الاثرية وبتحقيق تراث الاسلاف (٧٧) ولعل دراستنا للظروف السياسية والاقتصادية التي صاحبت عصر هذا الملك تنير لنا الطريق لمعرفة الدوافع الحقيقية لحملته الى أرض الحجاز ، ففي النصف الثاني من القرن السابع قبل الميلاد بدأ الميديون يلعبون دورا خطيرا على مسرح الشرق القديم فتحالفوا مع حكـام الامبراطورية البابلية الجديدة ضد آشور أيام نابو بولاسار وقد توج هذا التحالف بزواج نبوخذنصر ابن نابو بولاسار من ابنة سيا كساريس ملك ميديا (٧٨) وظلت العلاقات حسنة بين الجانبين خاصة في أيام نبوخذ نصر (٦٠٥ ـ ٥٦٢ ق٠م) الذي كان قد أصهر منهم فلم يعد يخشى غدرهم ، بل نجده وقد توسط في النزاع الذي قام بين الميديين ومملكة ليديا حينما استولى الميديون على أورارتو وتوغلوا

في آسيا الصغرى واصبحوا خطرا يهدد ليديا • وعقدت معاهدة بين الطرفين عام ٥٨٥ ق٠م لعب فيها نابونيد ـ الذي كان يعمل ضابطا في ذلك الوقت ـ دور الوسيط بين القوتين والتي بمقتضاها أصبح نهر هاليس الحد الفاصل بين النفوذ الليدي والميدي (٧٩) •

لقد تاثرت بابل كثيرا باستيلاء الميديين على حران عام ٦١٠ ق٠م ، اذ انهم بهذا العمل سلبوا بابل سيطرتها على طرق التجارة الشرقية ، الامر الذي اضطر معه الملوك البابليون الى الاتجاه نحو الغرب للسيطرة على الطرق المتجهة شمالا من الجزيرة العربية (٨٠) وحينما حاولت مصر اضعاف السيطرة البابلية على الغرب غزاها نبوخذ نصر عام ٥٦٨ ق٠م (٨١) وهكذا بدأ الملوك البابليون يحسون بخطر الميديين وتملك هذا الاحساس من نبوخذ نصر لدرجة أنه بدأ في تقوية تحصينات بابل وفي بناء سلسلة من القلاع في الشمال والجنوب منها (٨٢) كما نجد خليفته نرجال ـ شار ـ أوزور يقود حملة عبر طوروس (٨٣) لاحباط اي هجوم ميدي قد يحدث في المستقبل عبر نهرها ليس وليسيطر على الطريق التجاري القادم من شمال سوريا ولكنه مني بالهزيمة وعاد الى بابل عام ٥٥٦ ق٠م

وفي وسط هذه الظروف تولى نابونيد عرش بابل عام ٥٥٦ ق٠م ، ذلك السياسي الذي كان قد ارسله نبوخذ نصر ليساعد على انجاح المفاوضات بين الميديين والليديين عام ٥٨٥ ق٠م في الوقت الذي بدأ فيه كيروس الثاني « ٥٥٩ ـ ٥٣٠ ق٠م » حاكم انشان (الفرس) في اخضاع القبائل الايرانية المجاورة وتوسيع مملكته ، وقد صادف ظهور قوة الفرس في الافق السياسي في ذلك الوقت أضمحلال اقتصادي منيت به بابل نتيجة الحروب الكثيرة والانشاءات العديدة التي تمت في عهد اسلافه (٨٤) •• ولا أدل على سوء الاحوال الاقتصادية أيام هذا الملك من تفشي المجاعة في بابل وارتفاع الاسعار (٨٥) الذي أدى الى ان يلجأ أحد الرعاة الى أن يستدين قمحا حتى لاينفق قطيعه والى تسليم الاطفال للمعابد كعبيد • ولعل تعبئة اليد العاملة وتشغيلها في مشروعات غير انتاجية مثل تشييد المعابد أو في الحروب ساهمت في قلة انتاج الارض ، بينما ساعد على تازم الاحوال الاقتصادية سيطرة الميديين على الطرق المؤدية الى الشرق والشمال (٨٦) ومع أن سوريا وفلسطين كانتا لاتزالان في يد بابل الا أن الثورات العديدة جعلت هذه الولايات البعيدة عبئا بدلا من أن تكون مصدر قوة أو ذا فائدة ، علاوة على ذلك فان المدن الفينيقية كانت قد فقدت كثيرا من ثروتها السابقة ، كما ان ألقرن السادس قبل الميلاد كان أعظم فترة للتوسع الاغريقي البحري الاستعماري والذي فيه انتقلت مراكز التجارة الرئيسية من شرق البحر المتوسط على الساحل الفينيقي الى بلاد الاغريق وأيونيا وليديا وقيليقيا ومصر (٨٧) وهكذا كان لزاما على نابونيد أن ينقذ امبراطوريته من هذه الحالة السيئة فنراه وقد طلب المساعدة من كيروس لصد خطر الميديين واستخلاص حران من يدهم ، لقد كانت اغلى أحلام نابونيد ليس فقط اعادة بناء معبد الاله سين بل أيضا استرداد موقع استراتيجي هام تلتقي عنده الطرق التجارية التي تصل شمال العراق بسوريا وآسيا الصغرى والطرق المتجهة شمالا من بابل ومصر وبلاد العرب وفلسطين (٨٨) ، وفعلا سار كيروس ضد الميديين في السنة الثالثة من حكم نابونيد وانتصر عليهم وتم انسحابهم من حران (٨٩) وفي هذه الاونة أسرع نابونيد في اعادة بناء معبد سين • ولكن يبدو أن تصميم الملك على اعادة بناء هذا المعبد في الوقت الذي كانت تعاني فيه البلاد من الضائقة الاقتصادية قد أغضب الشعب الذي كان يتطلع الى الملك الجديد

كمنقذ له في وقت الشدة بعد ان اختاره ضباط البلاد الذين ثاروا ضد لاباش ـ مردوخ الملك الشرعي وخلعوه عن عرشه (٩٠) لقد اعتبر نابونيد غضب الشعب وثورته الما ارتكبه في حق الاله سين (لقد ارتكب شعب بابل وبورسيبا ونبئور وأور واوروك ولارسا وكهنة وشعب مدن أكد ذنبا في حق الوهيته (سين) العظيمة) واخذ احتجاجهم على أنه الاكاذيب « واخذوا يجدفون ويقولون الاكاذيب » ويبدو ان الشعب قد انقسم مابين مؤيد للملك وبين معارض له وهذا مايشير اليه الملك بقوله (اخذوا ياكلون بعضهم بعضا كالكلاب) (٩١)

ازاء هذا الاستياء الشعبي العام ورغبة منه في اصلاح الاحوال الاقتصادية خاصة وان الطرق التجارية التي تلتقي عند حران اصبحت مهددة من جانب الفرس الذين أدرك بحاسته الدبلوماسية أنهم بعد انتصارهم على الميديين لن يتركوه وشانه بل لابد ان يزحفوا على مملكته في يوم من الايام ، ازاء هذا كله قام نابونيد بحملته الشهيرة الى شمال الحجاز في العام الثالث من حكمه وعلى حد قوله : (لقد غادرت مدينتي بابل و (سلكت) الطريق الى تيماء وديدانو وباداكو وخيبرا وياديحو حتى ياتريبو حيث تنقلت بينها لمدة عشر سنوات ولم أدخل مدينتي بابل (٩٢) لقد كان غرض نابونيد من حملته هذه السيطرة على الطريق التجاري الهام الذي يربط جنوب بلاد العرب والحجاز والشام والعراق ومصر (٩٣) خاصة وأن المدن التي استولى عليها والتي تقع على هذا الطريق قد اثرت في ذلك الوقت نتيجة التوسع التجاري الكبير الذي كانت تقوم به الدولة المعينية في القرن السادس قبل الميلاد (٩٤) وأن التجارة جنوب بلاد العرب التي كانت تمر في هذا الطريق كانت تشمل الاحجار الكريمة وانواع الطيب الفاخرة والفضة والذهب والاحجار الثمينة الاخرى التي عرفت بتصديرها الى الخارج (٩٥) .

ان هذا الذي فعله نابونيد لانقاذ بلاده من ازمتها الاقتصادية قد فعلته آشور من قبل في بداية الالف الاول قبل الميلاد حينما ارادت أن تجد حلا لمشاكلها الاقتصادية بالسيطرة عسكريا على الطرق التجارية المؤدية الى ساحل البحر المتوسط بل نجد ملوكها يحاربون العرب القاطنين في شمال الحجاز واجبارهم على دفع الجزية ، بل في بعض الاحيان يعينون مقيمين آشوريين لدى الحكام العرب ضمانا لتنفيذ مصالحهم (٩٦) ، ومن المحتمل ان أسلاف نابونيد من ملوك الامبراطورية البابلية الجديدة قد اتبعوا سنة أسلافهم الاشوريين خاصة نبوخذ نصر الذي أرسل حملة لتحارب العرب القاطنين في البادية (٩٧) ولكن يجب أن نلاحظ ان كل هذه الحملات التي وجهت الى شمال الجزيرة العربية كانت غارات انتقامية سريعة لايلجا اليها الا بعد تفكير واعداد وخطط ووجود ضرورات ملحة تستوجب ارسال مثل هذه الحملات . كما أنها لم تدم طويلا لاسباب منها بعد طرق المواصلات عن عواصم الفاتحين وعدم وجود مواد غذائية كافية في البلاد المفتوحة لاعاشة جيش كبير يستطيع كبح جماح القبائل والمحافظة على الامن (٩٨) .

ولكن حملة نابونيد في شمال الحجاز اختلفت عن كل هذه الحملات السابقة التي هاجمت شمال الجزيرة العربية ، لقد تنقل العاهل البابلي مدة عشر سنوات في هذه المنطقة التي فتحها من الحجاز في ارض يبلغ طولها حوالي ٢٥٠ ميلا من تيماء الى يثرب وحوالي ١٠٠ ميل عرضا يراجع

أهلها وينزل بين قبائلها ثم يعود الى مقره في تيماء • ولعل اتخاذه تيماء مركزا له لانها ـ مثل حران ـ ملتقى طرق القوافل التجارية بين بلاد العرب الجنوبية والشام من ناحية وبين بابل ومصر من ناحية أخرى (٩٩) ولايمكن قبول الرأي القائل بان العاهل البابلي كان يرمي الى أبعد من ذلك وهو السيطرة على البحر الاحمر وذلك بالاستيلاء على الحجاز وعسير واليمن بل على جزيرة العرب كلها وبلوغ المياه الدفيئة للوصول الى افريقيا والهند (١٠٠) لقد كانت يثرب آخر مدينة وصلت فتوحات نابونيد اليها بينما اتخذ تيماء مقرا دائما له حيث كان على صلة مستمرة بولي عهده في بابل الذي عهد اليه بادارة دفة شئون البلاد أثناء غيابه ، فلم يكن في نيته أن يتوسع أكثر من ذلك وهو يعلم أن امبراطوريته مهددة بالخطر الفارسي وأن عودته رهينة بقرب هذا الخطر •

لقد اتسمت حملة نابونيد في شمال الحجاز بالصفة العسكرية فصحب معه جيوش أكد وقتل حاكم تيماء وذبح سكانها ولم يكتف بذلك بل أقام التحصينات اللازمة في المدينة وأحاطها بالحراس كما بنى فيها قصرا على غرار قصره في بابل وأن ذكر عبارة « الحلية المعمارية من اللبن » ليوحي بالظن أن هذا القصر كان محصنا بأسوار تحيطه من كل جانب • ومن الطريف أنه في النصف الاول من القرن السادس الميلادي سكن تيماء الملك اليهودي السموءل وله فيها حصن يقال له الابلق الذي تضرب العرب به المثل في الحصانة والمنعة (١٠١) ، فهل بنى السموءل حصنه على أنقاض قصر نابونيد وعلى شاكلته ؟ فاذا كان ذلك كذلك يكون نابونيد قد حاكى ماسبقه اليه حفيد سرجون الاكدي عندما شيد في تل البراك ـ على الطريق من أكد الى آسيا الصغرى ـ قصرا حصينا كان الغرض منه حراسة هذا الطريق التجاري (١٠٢) واذا صح مااعتقده بعض المؤرخين من أن الجاليات اليهودية ، التي عاشت في المدن الحجازية التي استولى عليها نابونيد في حملته قبل وبعد ظهور الاسلام ، من بقايا القوات اليهودية التي صحبته في هذه الحملة ، فيمكن القول يقينا أن العاهل البابلي قد أقام فيها جميعا حاميات عسكرية بغرض احكام السيطرة على هذا الشريان التجاري الهام، ويذكر لنا « نقش حران » أن الملك كان ينتقل بين هذه المدن الحجازية الامر الذي يؤكد قيام حاميات عسكرية فيها كانت تخضع للمراقبة والتفتيش باستمرار •

وبعد أن قضى نابونيد عشر سنوات في شمال الحجاز ، اضطر الى العودة الى بابل لان الظروف السياسية كانت قد تغيرت بازدياد قوة الفرس وظهور شهوتهم الى التوسع ، فبينما كان نابونيد في تيماء وفي السنة السادسة من حكمه (حوالي عام ٥٥١ ق•م) تمكن كيروس من هزيمة الميديين (١٠٣) •• وأصبح ملكا على الامبراطورية الميدية والفارسية ، وبعد ذلك عبر نهر دجلة جنوب يبدو أن الحلفاء لم يرسلوا المساعدة لملك ليديا الذي سقطت عاصمته ساردیس في أيدي العاهل في آسيا الصغرى بين كيروس وكرويسوس ملك ليديا الذي عقد حلفا مع نابونيد ومصر • ولكن يبدو أن الحلفاء لم يرسلوا المساعدة لملك ليديا الذي سقطت عاصمته ساريس في أيدي العاهل الفارسي عام ٥٤٧ ق•م (١٠٤) ، وفي نفس السنة توفيت والدة نابونيد ويبدو أن الملك لم يعد الى بابل ليشرف على مراسيم دفن امه بل تولى هذه المهمة بلشاصر ولي العهد والقائم باعمال الملك في بابل (١٠٥) وفي عام ٥٤٦ ق•م تعرض جنوب بابل لهجمات عيلام في الوقت الذي وجه فيه كيروس حملاته ضد الامبراطورية البابلية من الشمال حيث تمكن من السيطرة على جزء من شرق آشور

(١٠٦) ، ويمكن القول انه في هذا الوقت بدأ نابونيد يفكر في العودة الى بابل ليمنعها من ان تقع في أيدي الفرس ٠ واذا كانت الوثائق تشير الى ان العاهل البابلي كان لايزأل في تيماء في عام حكمه الثاني عشر اي حوالي عام ٥٤٥ ق٠م الذي يتفق مع السنة العاشرة لاقامته فيها آخذا في الاعتبار انه قام بحملة في عام حكمه الثالث ، فان عودة الملك تكون قد حدثت في العام الثالث عشر من حكمه اي حوالي عام ٥٤٤ ق٠م وهو تاريخ يتفق مع بداية حدوث الاخطار التي اخذت تهدد الامبراطورية البابلية ٠

وبعودة نابونيد بدأ يستعد لحماية عاصمة دولته في الوقت الذي كانت الدعاية الفارسية ضده قد أخذت طريقها في جميع أرجاء الامبراطورية البابلية والتي احتوتها (الرواية الشعرية الفارسية) ٠ لقد استطاع كيروس ان يسيطر على كل المنطقة شرق الفرات ثم عبر دجلة عند مدينة اوبيس حيث هاجم الجيش البابلي ، وفي هذا الوقت ثار الشعب ضد نابونيد الذي أعمل القتل في الثائرين واخيرا استولى الفرس على سيبار ولاذ نابونيد بالفرار (١٠٧) ٠ وبعد ذلك هوجمت بابل وسقطت في يد العاهل الفارسي عام ٥٣٩ ق٠م وقبض على نابونيد حينما حاول دخولها ومن المحتمل انه لقي مصرعه في هذه الاونة ٠ وبالرغم من أن هيرودوت أرجع سقوط بابل الى ثغرة أحدثها الفرس في نهر الفرات الذي يكون أحد جوانب الدفاع عن المدينة ، يبدو ان السبب الحقيقي يرجع الى ان طول فترة غياب الملك عن العاصمة قد زاد من استياء الشعب الذي سرعان ماأعطى اذنا صاغية للدعاية الفارسية كما أعطى ولائه للعاهل الفارسي الذي دخل بابل التي لم يسمح لاحد بنهبها أو تخريبها كما انه احترم العقائد الدينية والتقاليد الوطنية وأخيرا عين عليها حاكما فارسيا (١٠٨) ٠

د : خالـد الدسوقي

المراجــــــــــع

(١) اعتادت الكتب والمصادر كتابة اسم هذا الملك (نابونيد) أو (نابونيدوس) كما كان يكتبه الاغريق ، ولكن الكتابة الصحيحة لهذا الاسم هي « نابو ـ ناعيد ويعني الاله نابو رفـــع (الملك) ، انظر :

H. W. F. Saggs, The Greatness that was Babylon (London, 1962) P. xviii and P. 556; G. Roux, Oncient Iraq (London, 1964) , P. 346 .

(٢) R. A. Parker and W. H. Dubberstein, Babylonian Chronology 626 B. C. - A. D. 75.

(٣) كلداني من كهنة بعل ، كتب باليونانية نقلا عن مصادر مسمارية وقد ضاع ماكتب وان نقلت منه شذرات فيما خلفه جوزيفوس ويوسيبيوس ، انظر ، نجيب ميخائيل ابراهيم : مصـــر والشرق الادنى القديم ج ٥ ص ٣٢٤

(٤) R. P. Dougherty, (Nabonidus and Belshazzar) , Yale Oriental Series, Reserches, 15 (1929) , pp. - 8 - 9 .

(٥) J. J. A. van Dijk apud H. J. Lenzen et al. XVIII Vorläufiger Bericht über die von dem Deutschen Archäologischen Institut und der Deutschen Orient - Gesellschaft aus Mitteln der Deutschen Forschun - gsgemeinschaft unternommenon Ausgrabungen in Uruk - Warka, p. 53.

(٦) Deutschen Forschun gsgemeinschaft unternommenon

(٧) J. B. Pritchard (ed,), Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament, 2nd ed. revised (New Jersey. 1955), pp, 311f

(٨) Ibid, P. 309.

(٩) Ibid.

(١٠) نجيب ميخائيل ابراهيم : المرجع السابق ص ٣٢٩

(١١) A. K. Grayson, Assyrian and Babylonian Chronicles, Chronicle No. 7; Pritchard (ed.) , op. cit., pp. 305 - 307 .

لقد كتب هذا السجل على لوحة من الطين ، على كل جانب من جانبيها عمودين من الكتابة ولقد فقد منها جزءها الاسفل كما أن العمود الاول والاخير ليسا في حالة جيدة من الحفظ ، وقد رتبت عليها الاحداث حسب السنين ، ومن حسن ألحظ ان بعض الاجزاء الخاصة باحداث السنوات الاولى والثانية والثالثة والسادسة عشرة والسابعة عشرة قد حفظت لنا . وقد استخلصت الاحداث المدونة في هذا السجل من سلسلة اليوميات الفلكية التي جمعت خلال هذا العصر ، لذلك فيعتبر من اصدق المصادر التي يمكن الاعتماد عليها في دراسة تاريخ هذا الملك .

(١٢) W. G. Lambert in Archiv für Orientforschung. 22 (1969) . pp. 1 ff.

لقد رتبت الاحداث أيضا في هذا السجل حسب السنين ولكن الاسلوب يختلف اختلافا كليا ، اذ أنه يميل الى الاستطراد والى النزعة ألقصصية ، ويبدو ان هذا السجل يعبر عن وجهة نظر الملك وما حفظ لنا من هذا السجل يشتمل على أحداث السنوات الثانية والثالثة والرابعة من حكمه .

(١٣) Pritchard (ed.) , Ancient Near Eastern Texts, p. 305.

(١٤) R. Borger, Die Inschriften Asarhaddons. p. 53, line 1.

(١٥) W. F. Albright, (The Conquest of Nabonid in Arabia) . JRAS (1925) , pp. 293 f .

(١٦) H. Tadmor in Studies in Honor of Benno Landsberger on his Seventy - fifth Birthday, p. 352, n. 6.

(١٧) انظر : Labat, E. Cassin et al (eds.) , Fischer Weltgeschichte, vol. 4, p. 105.

A. Musil, Negd, p. 226. (١٨)

(١٩) ارميا ٤٩ : ٧ ، عاموس ١ : ٢ ، حبقوق ٣ : ٣ ، عوبديا ٩

(٢٠) قاموس الكتاب المقدس ١ / ٢٩٦ وما بعدها .

Musil, Negd, p. 225. (٢١)

Gadd, Anatolian Studies, 8 (1958) , pp. 35 ff; (٢٢)
W. G. Lambert, (Nabonidus in Arabia) , Proceedings of the Fifth Seminar for Arabian Studies (1972) , p. 56.

A. Van den Branden, (La Chronologie de Dedan et de Lihyan) (٢٣)
Bibliotheca Orientalis, 14 (1957) , P. 13.

(٢٤) جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ج ١ ص ٦١٧

(٢٥) معجم البلدان : ٤ / ١٠١٣

Lambert, Proceedings of the Fifth Seminar for Arabian Studies (٢٦)
p. 56

Ibid. (٢٧)

Ibid., pp. 55f (٢٨)

Ibid. ,p. 56; cf. Pritchard (ed.) , Ancient Near Eastern Texts, (٢٩)
p. 313.

Lambert, Proceedings of the Fifth Seminar for Arabian Studies (٣٠)
(1972) , p. 56.

A. Van den Branden, Les Texts thamoudésne de Philby (٣١)

(Louvain, 1956) , vol. II, pp. 54 ff.

Gadd, Anatolian Studies, 8 (1958) , pp. 78 ff. (٣٢)

(٢٣) جواد علي : المرجع السابق ج ١ ص ٦١٦

(٢٤) Lambert, Proceedings of the Fifth Seminar for Arabian Studies (1972) , p. 56.

ليس بمستبعد أن يكون حصن السموأل الذي كان يشرف على تيماء من بقايا قصر نابونيد أو من بقايا قصور رجاله أو أن يكون بناء اقامة السموأل واستخدم في تشييده أحجار تلك الابنية القديمة • (انظر ، جواد علي : المرجع السابق ج ٦ ص ٥٢٩) • ويبدو أن طرز العمارة البابلية في تيماء قد أثرت في ذوق من شاهدوها من العرب ، أذ نجد هذا التأثير واضحـــا في المباني المكتشفة في بلاد العرب الجنوبية انظر :

Berta Segall, (The Arts and King Nabonidus) , American Journal of Archaeology, 59 (1955) , P. 316)

وعلى مقربة من مدينة تيماء خربة فيها أحجار ضخمة مربعة وبقايا عمران قديم ويرى بعض من زارها انها كانت مدينة لاتقل ضخامة عن الحجر وعن المدن الاخرى التي ترى آثارها في العربية النبطية حتى الان ، ولم تفحص هذه الخربة التي يسميها الناس (توما) فحصا علميا ، وقد يعثر فيها على كتابات تلقي ضوءا على تلك المباني والقصور التي تركها نابونيد فيها ، انظر جواد علي : المرجع السابق ج ١ ص ٦١٢ •

(٢٥) Lambert, Proceedings of the Fifth Seminar for Arabian Studies (1972) , p. 56.

(٢٦) Ibid.

(٢٧) Ibid.

(٢٨) Dougherty, Yale Oriental Series, Researches, 15 (1929) ,pp. 87 116 & 131 .

(٢٩) Ibid., pp. 97f.

(٤٠) Ibid., p. 87

(٤١) Ibid., pp. 125 - 129.

(٤٢) Ibid., pp. 101 - 103, 117 - 131.

(٤٣) Ibid., pp. 130 f .

(٤٤) R. Ph. Dougherty, Records from Erech. Time of Nabonidus (New Haven, 1920) , p. 12

(٤٥) Lambert, Proceedings of the Fifth Seminar for Arabian Studies (1972) , p. 56.

وربما اوحت هذه العبارة الى كاتب العهد القديم بان بلشاصر قد اصبح ملكا ، انظر ، دانيال ٥ : ١ ، ٩ .

(٤٦) Dougherty, Records from Erech, p. 12;
Dougherty, Yale Oriental Series, Researchs, 15 (1929) , pp. 136 f.

(٤٧) Ibid.

(٤٨) Lambert, Proceedings of the Fifth Seminar for Arrbian Studies (1972) , p. 56.

(٤٩) Dougherty, Yale Oriental Series, Researches, 15 (1929) , pp. 114 - 116.

(٥٠) انظر ، ص ٨

(٥١) Lambert, Proceedings of the Fifth Seminar for Arabian Studies (1972) , pp. 58 - 63 .

(٥٢) W. Rollig, Zeitschrift für Asryriologie, 56 pp. 220 - 224.

(٥٣) F. V. Winnett and W.L. Reed, Ancient Records from North Arabia, pp. 92 - 93.

(٥٤) Miscellaneous Inscriptions in Yale Babylonian Collection, p. 66, No.45.

(٥٥) W. F. Albright, From Stone Age to Christianity (Baltimore, 1946) pp. 241 - 244.

(٥٦) Saggs, The Greatness that was Babylon, pp. 145 f; Berta Segall, American Journal of Archaeology, 59 (1955) , p. 316.

(٥٧) Lambert, Proceedings of the Fifth Seminar for Arabian Studies (1972) , p. 58; cf. Pritchard, Ancient Near Eastern Texts, p. 311.

(٥٨) لقد جاء في نقش حران (Gadd, Anatolian Studies, 8 (1958) , p. 35 ff)

ان نابونيد اعاد بناء (اخو لغول) بعد عودته من تيماء التي اقام فيها عشر سنوات وهذا يتعارض مع ماجاء في الوثائق الاخرى التي جعلت اعادة بناء المعبد في السنة الثالثة من حكمه وقد اراد Tadmor ان يوفق بين ماجاء في هذه الوثائق فنادى بان عبارة « حينما حلت السنة الثالثة » لايقصد بها معناها الحرفي ولكنها اصطلاح يعني (حينما كان الوقت مناسبا) او (على ذلك)

(Tadmor in Studies in Honor)
of Benno Landsberger, p. 355

ولكن هذا التفسير لم يلق قبولا من العلماء ، انظر :
Borger in Orientalistische literaturzeitung, 1968, P. 32

(٥٩) Saggs, The Greatness that was Babylon, p. 364.

(٦٠) Roux, Ancient Iraq, p. 347 f .

(٦١) Pritchard (ed.) , Ancient Near Eastern Texts, p. 309.

(٦٢) Ibid., p. 311.

(٦٣) Ibid., pp. 313 f. وقد راى البعض ان هذه (الرواية الشعرية الفارسية) من تاليف كاهن بابلي اراد ان يصور نابونيد كملك قد انشق عن عقيدته وذلك بايحاء من سادته الفرس ، انظر .
S. Langdon, JRAS (1925) , p. 167.

(٦٤) Pritchard (ed.) , Ancient Near Eastern Texts, p. 306.

(٦٥) Saggs, The Greatness that was Babylon, p. 384.

(٦٦) T. W. Rosmarin, (Arabi und Arabien in den Babylonisch assyrischen Quellen,) JSOR, 16 (1932) , p. 22

(٦٧) فؤاد محمد شبل : اخناتون ص ٦٠

(٦٨) Saggs, The Greatness that was Babylon, p. 147.

(٦٩) Roux, Ancient Iraq, p. 366.

(٧٠) Ibid.

(٧١) Ibid., p. 352.

(٧٢) F. Altheim and R. Stiehl, Die Araber in der alten Welt (Berlin, 1969) , vol. 5, part 2, p. 4.

(٧٣) Ibid., pp. 4 - 5 لقد كتب اسم نابونيد في هذه التوسلات (نبني) ولا شك ان الاسم بهذه الصورة قد اصابه التحوير وذلك لتاثره باسماء الاعلام الارامية ، انظر :
J. T. Milik, (Prière de Nabonide et Autre écrits d'un Cycle de Daniel,) Revue Biblique, 63 (1956) , p. 409.
وعن التشابه الكبير بين هذه الرواية ورواية سفر دانيال التي لاشك فى انها اقتبست منها ، انظـــر :
H. L. Ginsberg, (The Composition of the Book of Daniel,) VT,4 (1954) ,pp. 246 - 275.

(٧٤) Milik, Revue Biblique, 63 (1936) , p. 410

(٧٥) Ibid.
ويرى بعض المؤرخين أن جزءا من جيش نابونيد الذي صحبه الى تيماء كان من اليهود الذين اتى بهم من بابل وفلسطين ويدللون على ذلك بوجود جاليات يهودية فى المدن التي غزاها هذا الملك في الحجاز مثل تيماء وديدان وفدك وخيبر ويثرب قبل وبعد الاسلام ، انظر :
Altheim and Stichl, Die Araber in der alten Welt, vol. 5, part 2,p. 5.

(٧٦) Pritchard (ed.) , Ancient Near Eastern Texts, p. 305.

(٧٧) Roux, Ancient Iraq, pp. 347 f; Albright, JRAS (1925) , p . 293 .

(٧٨) C.J. Gadd, The Fall of Nineveh, pp. 10 - 11.

(٧٩) Saggs, The Greatness that was Babylon, p. 143.

(٨٠) Roux, Ancient Iraq, p. 344.

(٨١) Pritchard, Ancient Near Eastern Texts, p. 308

حزقيال ٢٩ : ١٩ ـ ٢١

(٨٢) Saggs, The Greatness that was Babylon, p. 144.

(٨٣) Roux, Ancient Iraq, p. 346.

(٨٤) Ibid P. 366.

(٨٥) W. H. Dubberstein, (Comparative Prices inLater Babylonia) , AJSL, 56 (1930) , pp. 20 - 43 .

(٨٦) Saggs, The Greatness that was Babylon, p. 148.

(٨٧) Roux, Ancient Iraq, p. 366.

(٨٨) Saggs, The Greatness that was Babylon, p. 146.

(٨٩) Ibid, 147.

(٩٠) Ibid., 145

(٩١) Röllig, Zeitschrift für Assyriologie, 56, pp. 220 - 224.

(٩٢) Ibid.

(٩٣) Roux, Ancient Iraq, p. 351.

(٩٤) Albright, JRAS (1925) , p. 294.

(٩٥) جواد علي : المرجع السابق جـ ١ ص ٥٨٩

(٩٦) جواد علي : المرجع السابق جـ ١ ص ٥٧٤ وما بعدها .

(٩٧) أرميا ٤٩ : ٢٨

(٩٨) جواد علي : المرجع السابق جـ ١ ص ٦٠٨

(٩٩) J. A. Montgomery, Arabia and the Bible (Philadelphia, 1934) p. 16 and p. 46.

ويشير العهد القديم الى مركز تيماء الرئيس في تجارة عبر الصحراء حيث نجد أن سكان أرض تيماء يقدمون المأوى وكرم الضيافة للقوافل الديدانية الفارين من الغزو المعادي (أشعياء ٢١ : ١٣ وما بعدها) كما أن منطقة تيماء من أكثر الواحات جاذبية في الجزيرة العربية كما لاتزال أحد المراكز التجارية الرئيسية للبلاد ، أنظر :

Dougherty, Arabia Deserta, vol. I. Chaps. 10, 19.

(١٠٠) جواد علي : المرجع السابق جـ ١ ص ٦١٥

(١٠١) معجم البلدان ٢/٦٧

(١٠٢) Saggs, The Greatness that was Babylon, p. 277.

(١٠٣) Pritchard (ed.) , Ancient Near Eastern Texts, p. 305.

(١٠٤) Ibid., p. 306; Roux, Ancient Irrq, p. 350.

(١٠٥) Cf. Pritchard (ed.) , Ancient Near Eastern Texts, p. 306.

(١٠٦) Saggs, The Greatness that was Babylon, p. 150.

(١٠٧) Pritchard (ed.) , Ancient Near Eastern Texts, p. 306.

(١٠٨) Saggs, The Greatness that was Babylon, p. 152.